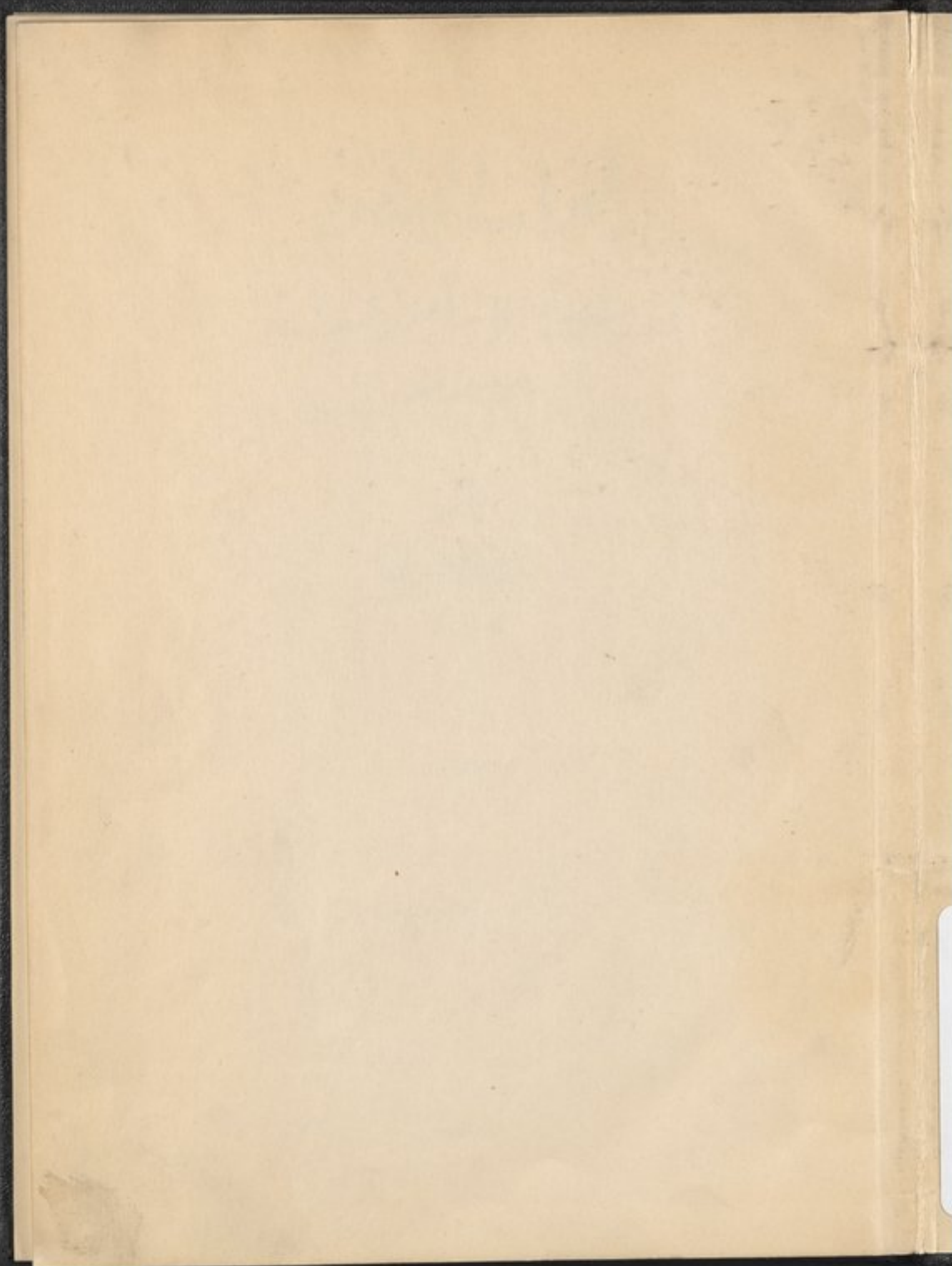


AMERICAN LIBRY. IN CASO LIBRARY



3 8534 01110 1346





04-B 633 put

AMERICAN
LIBRARY
UNIVERSITY OF CALIFORNIA

لمحات النظر

BP
80
Z8
K3X
1948

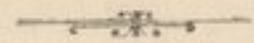
في سيرة الإمام زفر

رضي الله عنه
Zufar ibn al-Hudhayl, 728-775

بقلم

محمد زاهد الكوثري

عفي عنه



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

10258

٢٦ رجب الفرد ١٣٦٨ هـ

١٩٤٨

مطبعة الانوار
نهاية شارع بيرس بالجزاوى

THE UNIVERSITY OF MICHIGAN
LIBRARY
ANN ARBOR, MICHIGAN

مكتبة جامعة

مكتبة جامعة لا اقليميان
مكتبة

مكتبة

٩٤٤
ل. ٣٤

مكتبة جامعة

40518

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي فقه في الدين من أراد به خيراً ، ووفقه لصالح العمل وزاده رفعة
وقدراً ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ، سيدنا محمد وآله وصحبه
أجمعين ، والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين . أما بعد فان الامام المبجل جيلاً
بعد جيل ، زفر بن الهذيل رضى الله عنه من كبار أئمة الاجتهاد في الفقه الاسلامي
ومن أقدم أصحاب فقيه الملة أبي حنيفة النعمان وفاة ، وأحدهم قياساً ، وأذكارهم
فؤاداً ، وأدقهم تفريعا ، وأجودهم نظراً ، حتى تراه يقيم مذهبا فقهيا مقام مذهب
فقهسي متأصل في نفوس أهل البصرة ، بأنظاره الدقيقة ، ومناظراته الحكيمة ،
فمثل هذا الامام الدقيق النظر ، الواسع القريحة لا يجوز إهمال أمره .
ولذا اقترح على بعض إخواننا الأعزاء الأفاضل ، أن أكتب كلمة في ترجمة
هذا الامام العظيم . وقد سبق أن ترجمت للامامين الجليلين محمد بن الحسن وأبي
يوسف - رضى الله عن الجميع - فوافقت على اقتراحه وكتبت هذه الرسالة الوجيزة
في ترجمته ذا كراً فيها موجز أحوال هذا الامام الجليل وسميتها (لمحات النظر في
سيرة الامام زفر) رضى الله عنه ، جعلها الله خالصة لوجهه الكريم ومستنهضة
لهمم الاخوان ، في الاستزادة من معرفة أحوال أئمة هذا الشأن ، ومن الله
التوفيق والتسديد .

نسب الامام زفر وميلاده

هو الامام المجتهد المطلق المقدم بين أصحاب أبي حنيفة أبو الهذيل زفر العبدي
البصرى ابن الهذيل بن (زفر بن الهذيل بن) قيس بن سليم بن مكمل بن قيس بن
ذهل بن ذؤيب بن جذيمة بن عمرو بن حنصور بن جندب بن العبدي بن عمرو بن تميم
ابن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان على ما ساق

ابن خلصان نسبه في وفيات الأعيان تبعاً للواقدي في غير ما زدته بين قوسين تعويلاً
على رواية أبي بشر الدولابي كما سيأتي . وفيما ساق أبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصبهان
بعض مخالفة لذلك .

وقد ترجم لزفر أبو الشيخ في (طبقات المحدثين بأصبهان) - وهي محفوظه
بظاهرية دمشق - وأبو نعيم في تاريخ أصبهان - وهو مطبوع في ليدن -

ولد الامام زفر بن الهذيل في أصبهان سنة ١١٠ هـ في عهد ولاية أبيه هناك ، وكانت
وفاته بالبصرة سنة ١٥٨ هـ في شهر شعبان فيما ذكره ابن خلصان فتكون وفاته قبل وفاة
المنصور العباسي بأربعة أشهر لأنه توفي في ٧ ذى الحجة من السنة ، وشذيعقوب
ابن شيبه فقال توفي زفر في أول خلافة المهدي بن المنصور المذكور ، فتابعه من
تابعه لكن الجمهور على الرواية الأولى ، وأسند الصيمري الى يعقوب بن شيبه
السدوسي أنه قال : (زفر بن الهذيل عنبري من أنفسهم يكنى أبا الهذيل ، وكان
قد سمع الحديث ونظر في الرأي فغلب عليه ، ونسب اليه ومات بالبصرة وأوصى
الى خالد بن الحارث وعبد الواحد بن زياد وكان أبوه الهذيل يلي الأعمال ، ومات
وهو والى أصبهان ، وكان أخوه صباح بن الهذيل على صدقة بني تميم ، وزفر هو
زوج أخت خالد بن الحارث ومات في أول خلافة المهدي سنة ثمان وخمسين ومائة .
وأول خلافة المهدي منتصف ذى الحجة من السنة بعد وفاة والده أبي جعفر
المنصور بمكة سبع ذى الحجة فلا تكون وفاة زفر في أول خلافة المهدي مادامت
وفاته في شعبان من السنة كما سبق ، وسأعيد الكلام في وفاته في آخر هذه الرسالة
إن شاء الله تعالى .

قال ابن أبي العوام حدثني محمد بن احمد بن حماد عن زكريا بن خلاد الساجي
تنا الأصبهاني قال داود بن يزيد بن المهلب (١) عن أبيه : (قال جاء زفر بن

(١) وفي الأصل حاتم وهذا والد يزيد حفيد المهلب ، وصاحب الحكاية هو
يزيد بن المهلب مباشرة فوهم في الاسم أحد الرواة ، والحفيد لم يلحق الحجاج بل =

الهدليل الى يزيد بن المهلب وهو في حبس الحجاج فقال لابنه مخلد : استأذن لي على أهلك ، فاستأذن له عليه فدخل فقال : السلام عليك أيها الأمير قدرك أعظم من أن يستعان عليك أو يستعان بك وقد حملت خمسين حمالة وقد قصدتك . فقال : قد أمرت لك بها وشفعتها بمثلها . فقال زفر : والله لا أقبل منها شيئاً . فقال له يزيد : ولم ذلك ؟ قال إني بذلت لك من وجهي أكثر مما بذلت لي من مالك . فخرج ولم يقبل منه شيئاً . قال ابن أبي العوام : قال أبو بشر (الدولابي) : زفر بن الهدليل هذا هو جد زفر بن الهدليل الفقيه صاحب أبي حنيفة (هـ) . والمهالبة في عهد الدولة الأموية كانوا كالأبرامكة في الدولة العباسية في الجود وعلو المنزلة ، وحال يزيد بن المهلب في الجود في تاريخ ابن خلصان وتاريخ ابن كثير وغيرهما . وكان ما بين الحجاج وبين يزيد بن المهلب هذا ساء جداً حتى حبسه الحجاج على خلاف رضا عبد الملك ، وهو يجود هذا الجود وهو في الحبس ؛ وهذا مالا نظير له بين الأجياد ، وعدم قبول زفر هذا البذل يدل على شهامته البالغة بعد أن رأى أريحية ابن المهلب هذه . وخالد بن الحارث المذكور في كلام يعقوب ابن شيبة من بني العنبر ومن الحفاظ الثقات . وقال أبو نعيم الاصبهاني في تاريخ اصبهان : (كان الهدليل والد زفر بأصبهان في خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك وكان ينزل قرية بزاء ان وكان له ثلاثة بنين : السكوثر وهرثمة وزفر اه) . ولم يستوف أبو نعيم ذكر إخوته كما رأيت . وقد سبق في كلام يعقوب بن شيبة ذكر صباح بن الهدليل في عداد إخوة زفر والله أعلم .

اتصال زفر بأبي حنيفة

قال الصيمري : أخبرنا عبد الله بن محمد الاسدي قال أخبرنا أبو بكر الدامغانى

= المحبوس في حبس الحجاج هو الابن وقد فر من الحبس وتولى الولاية بدل الحجاج عند وفاته واستعاد منزله التي كان أضعها الحجاج (ز) .

الفتية قال أخبرنا الطحاوي قال أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي ثور قال أخبرني محمد بن وهب قال : (كان سبب انتقال زفر الى أبي حنيفة أنه كان من أصحاب الحديث ، فنزلت به وبأصحابه مسألة فأعيتهم فأتى أبا حنيفة فسأله عنها ، فأجابه في ذلك فقال له ، من أين قلت هذا ؟ قال : لحديث كذا وللقياس من جهة كذا . ثم قال له أبو حنيفة : فلو كانت المسألة كذا ، ما كان الجواب فيها ؟ قال فسكنت فيها أعيا مني في الأول . فقال - الجواب فيها كذا من جهة كذا . ثم زادني مسألة أخرى وأجابني فيها وبين وجهها . قال : فرخت الى أصحابي فسألتهم عن المسائل ، فكانوا فيها أعمى مني فذكرت لهم الجواب ، وبينت لهم العلة فقالوا من أين لك هذا ؟ فقلت من عند أبي حنيفة . فصرت رأس الحلقة بالثلاث المسائل . ثم انتقل الى أبي حنيفة فكان أحد العشرة الاكابر الذين دونوا الكتب مع أبي حنيفة اه) . وساق ابن فضل الله العمري في (مسالك الابصار) هذا الخبر بنصه بطريق الطحاوي .

أقوال أهل العلم في زفر

قال الصيمري أخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال حدثنا احمد بن محمد المسكي قال حدثنا ابن أبي خيثمة عن أبي الحسن المدائني قال : زفر بن الهذيل صاحب أبي حنيفة عنبري . وقال أيضا : أخبرنا المرزباني قال حدثنا الحسن بن محمد المحرمي قال حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال : سألت أبي وعمي أبا بكر عن زفر ابن الهذيل فقالا : كان زفر من أفقه أهل زمانه قال أبي : وكان أبو نعيم - يعني الفضل بن دكين - يرفع زفر ويقول كان نبيلاً فقيهاً .

قال وحدثنا أبو الحسن علي بن الحسن الرازي قال حدثنا أبو عبد الله الزعفراني نزيل واسط قال حدثنا احمد بن أبي خيثمة قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثني عمرو بن سليمان العطار قال كنت بالكوفة أجالس أبا حنيفة فتزوج زفر

لحضره أبو حنيفة فقال له : تسكلم . فخطب فقال في خطبته : هذا زفر بن الهذيل وهو إمام من أئمة المسلمين وعلم من أعلام الدين في حنبله وشرفه وعلمه . فقال بعض قومه : ما يسرنا أن غير أبي حنيفة خطب حين ذكر خصاله ومدحه ، وكره ذلك بعض قومه وقالوا له - حضر بنو عمك وأشرف قومك وتساءل أبا حنيفة أن يخطب ؟ فقال لو حضرني أبي لقدمت أبا حنيفة عليه اه (١) وكفى في معرفة منزلة زفر في الفضل قول أبي حنيفة هذا فيه . وقال الصيمري حدثنا أبو الحسن العباس بن أحمد بن الفضل الهاشمي قال حدثنا أحمد بن محمد المسكي قال حدثنا علي بن محمد النخعي قال حدثنا إبراهيم بن اسحاق قال حدثنا علي بن مدرك عن الحسن بن زياد قال : كان زفر وداود الطائي متواخين فاما داود الطائي فترك الفقه وأقبل على العبادة وأما زفر فانه جمع الفقه مع العبادة ، ثم ذكر الصيمري بسنده قدوم زفر البصرة يزور داود الطائي رحمهما الله .

وساق الصيمري بطريق علي بن محمد النخعي عن محمد بن علي بن عفان قال حدثنا وليد (٢) بن حماد عن الحسن بن زياد قال : مارأيت أحدا يناظر زفر إلا رحمته قال وقال زفر : إني لست أناظر أحدا حتى يقول : قد أخطأت ، ولكن أناظره حتى يجن قيل وكيف يجن ؟ قال : يقول بما لم يقله أحد .

وقال الصيمري أيضا أخبرنا عمر بن إبراهيم المقرئ . قال حدثنا مكرم بن أحمد قال حدثنا أحمد بن محمد قال حدثنا مليح بن وكيع قال سمعت أبي يقول : كان زفر شديد الورع حسن القياس قليل الكتابة يحفظ ما يكتبه . وقال : أخبرنا عمر بن إبراهيم قال حدثنا مكرم قال حدثنا أبو خازم القاضي حدثنا ابن أبي

(١) ومثله عند ابن أبي العوام عن أبي بكر محمد بن جعفر بن اعين البغدادي عن يعقوب بن شيبة بن الصلت (السدوسي) عن سليم بن منصور عن عمرو بن سليمان العطار على حد سواء (ز) .

(٢) هو ابن أخي الحسن بن زياد (ز) .

عمران قال : كان زفر من بلعبر من بيت شريف منهم وكانت أمه أمة فكان وجهه يشبه وجوه العجم لأمه ، ولسانه يشبه لسان العرب قال لخضر مجلس الحجاج بن أرطاة - وكان يتولى القضاء بالكوفة وكان يغلب عليه البذاء وكانت النخع تغمره في نسبه - فتكلم زفر فأخذ المجلس فلأ قلب الحجاج فالتفت اليه فقال : أما اللسان فلسان عربي ، وأما الوجه فليس وجه عربي . فقال زفر : أما أنا فقد قبلني قومي . وفي رواية ابن أبي العوام عن الطحاوي عن ابن أبي عمران : (دخل زفر وأبو يوسف على حجاج بن أرطاة فجزت مسألة فقال الحجاج لزفر أما اللسان فعربي وأما الصورة فتدل على غير ذلك فقال له زفر أما أنا فيقبلني قومي وكان عنبريا من بني تميم ، وكان الحجاج يطعن في نسبه فاشتد ذلك عليه وأسكته ثم ناظره أبو يوسف فقطعه فلما قاما قال لحاجبه لا يدخل هذان علي بعد) .

وقال ابن أبي العوام حدثنا أبو معمر محمد بن أحمد بن خزيمة البصري قال ثنا عباس بن محمد بن حاتم قال سمعت يحيى بن معين يقول : زفر صاحب الرأي ثقة مأمون سمعت أبا نعيم الفضل بن دكين وذكر له زفر فقال : كان ثقة مأمونا . وجعل يعظم أمره وهذه الدار التي فيها الجبان دارهم قلت فكيف وقع الى البصرة قال : في ميراث له فتشبهت به البصريون وقالوا حدثنا فأقام فيهم (١) . وقال ابن أبي العوام أيضا حدثني أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد (الدولابي) قال سمعت العباس ابن محمد الدوري يقول سمعت يحيى بن معين يقول ثم ذكر مثله وزاد قال يحيى ابن معين سمعت أبا نعيم يقول : زفر بن الهذيل من خيار الناس . وأراني أبو نعيم منزل زفر بالكوفة في جبانة كسندة في وسط الجبان وجعل أبو نعيم يثنى عليه .
وبه الى أبي بشر عن يعقوب بن اسحاق بن أبي اسرائيل حدثني محمد بن عبد العزيز ابن أبي رزمة حدثني أبي ثنا ابراهيم بن المغيرة قال قيل لو كعب بن الجراح تختلف

(١) لزفر رحلتان الى البصرة احدهما في حياة الامام عثمان بن مسلم البتي وثانيهما بعد وفاة أبي حنيفة فاستقر بها (ز) .

الى زفر !؟ فقال غررتمونا عن أبي حنيفة حتى فات فتريدون أن تغررونا عن زفر حتى نحتاج الى أبي أسيد وأصحابه .

وبه الى أبي بشر سمعت محمد بن مقاتل قال سمعت أبا نعيم الفضل بن دكين يقول قال لي زفر بن الهذيل : أخرج الى حديثك حتى أغربله لك . وقال الذهبي : زفر ابن الهذيل العنبري أحد الفقهاء والزهاد صدوق ، وثقه غير واحد وابن معين اه . وقال ابن حجر : ذكره ابن حبان في الثقات وقال : كان متقنا حافظا لم يسلك مسلك صاحبيه وكان أقيس أصحابه وأكثرهم رجوعا الى الحق توفي بالبصرة في ولاية أبي جعفر وقد وقع لنا حديثه بعلو في حديث ابن أبي الهيثم اه . وقد أسقط ابن حجر بعض كلمات من كلام ابن حبان .

وقال ابن عبد البر : كان زفر ذا عقل ودين وفهم وورع وكان ثقة في الحديث اه . وقد ترجم له في (الانتقاء) ومع ذلك كله يوجد من يتكلم فيه وسنذكر ذلك في فصل خاص إن شاء الله تعالى للفت النظر الى مواضع العبرة في كلام المتعنتين .

بعض ما قيل في الموازنة بين زفر وأبي يوسف

قال ابن أبي العوام حدثني محمد بن احمد بن حماد (الدولابي) قال سمعت محمد ابن شجاع الثلجي أبا عبد الله قال سمعت بعض البصريين يقول لما قدم زفر بالبصرة لقوه فسأله فأعجبوا به فبلغه أنهم قالوا : مارأينا مثل زفر في الفقه هو أعم الناس . فقال زفر وبلغه ذلك : كيف لورأيتم أبا يوسف اه ؟ . وحدث عن الطحاوي عن ابن أبي عمران عن محمد بن سلمة البلخي عن شداد قال سمعت زفر يقول : يعقوب - يعني أبا يوسف - أفقه من أبي اه .

وبهذا وذلك يكون زفر فضل أبا يوسف على نفسه رحم الله تلك النفوس الطاهرة ما كان لهوى النفس سلطان عليهم ، وكانت خدمتهم في العلم باخلاص لله وفي الله فبارك الله لهم في علومهم . وما غرهم ثناء الناس عليهم بل وقفوا موقف

اتهام النفس نفعا الله بعلومهم .

ومما يروى في تفضيل زفر على أبي يوسف ما حدثه ابن أبي العوام عن الطحاوي عن أبي خازم عبد الحميد القاضي أنه سمع بكراً العمى يقول سمعت محمد بن سماعة يقول عن محمد بن الحسن قال : حضرت زفر وأبا يوسف يتناظران فكان أبو يوسف يقهره بكثرة الرواية عن أبي حنيفة والأخبار فإذا صار إلى المقايسة قهره زفر اه واسند عن أبي بشر عن أحمد بن القاسم حدثني أبو حفص المروزي عن بشر بن يحيى عن خالد بن صبيح قال : رحلت إلى أبي حنيفة فنعى إلى في الطريق فدخلت مسجد الكوفة فإذا الناس كلهم على زفر بن الهذيل وعند أبي يوسف رجلان أو ثلاثة اه . لعل هذا كان في مبدأ الأمر ، ثم علا شأن أبي يوسف بكثرة الآخذين عنه بحيث لا يلحقه لاحق ؛ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ومما ذكره ابن أبي العوام بسنده إلى الفضل بن دكين : كان زفر يجلس إلى اسطوانة وأبو يوسف يجذائه وكان زفر يلبس قلنسوة بيضاء فخمة فكانا يتناظران في الفقه وكان زفر ركيناً جيد اللسان وكان أبو يوسف يضطرب في مناظرته فربما سمعت زفر يقول لأبي يوسف أين تفر ؟ هذه أبواب كندة مفتحة فخذ في أيها شئت اه . وأبواب كندة أبواب لقبائل كندة في الكوفة معروفة ، ووقع في بعض النسخ (أبواب كثيرة) بدل أبواب كندة والمعنى صحيح في اللفظين ، ولفظ الصيمري بسنده إلى محمد بن سماعة : (كان زفر يستند إلى اسطوانة وكان رجلاً ركيناً فينتصب فلا يزول وكان أبو يوسف إذا ناظره يسكثر الحركة حتى يحسى ، فيجلس بين يديه أو قال بالقرب منه فكان زفر يقول إن هذه أبواب كندة فإن اردت أن تفر فخذ في أيها شئت)

وذكر عن وكيع ما نصه : (لما مات أبو حنيفة أقبل الناس على زفر فما كان يأتي أبا يوسف إلا نفر يسير النفسان والثلاثة) . فكان أبو يوسف الكوفة صفاً لأن يوسف بعد انتقال زفر إلى البصرة ، بالنظر إلى هذه الروايات ، على أنه

ليس بقليل في الروايات ما يفضل جانب أبي يوسف ؛ منها كون أبي يوسف أوسع صدرأ بالتعليم من زفر ومنها ما ساقه الخطيب بطريق حماد بن أبي حنيفة انه قال : (رأيت أبا حنيفة يوماً وعن يمينه أبو يوسف وعن يساره زفر وهما يتجادلان في مسألة فلا يقول أبو يوسف قولاً إلا أفسده زفر ، ولا يقول زفر قولاً إلا أفسده أبو يوسف إلى وقت الظهر ، فلما أذن المؤذن رفع أبو حنيفة يده فضرب بها على نخذ زفر وقال : لا تطمع في رياسة ببلدة فيها أبو يوسف ، قال وقضى لأبي يوسف على زفر) . وفي معناه ما ذكر الخطيب بسنده عن عبد الرزاق بن همام عن محمد بن عمارة أنه قال : (رأيت أبا يوسف وزفر يوماً افتتحا مسألة عند أبي حنيفة من حين طلعت الشمس إلى أن نودي بالظهر ، فاذا قضى لأحدهما على الآخر ، قال له الآخر أخطأت ما حجتك ؟ فيخبره حتى كان آخر ذلك أن قضى لأبي يوسف على زفر حين نودي بالظهر . فقام أبو يوسف ، قال : فضرب أبو حنيفة على نخذ زفر وقال : لا تطمعن في الرياسة بأرض يكون هذا بها)

وحضور الاستاذ في المناظرة بين تلميذه هكذا ومصارحته لها بالصواب والخطأ طريقة بديعة في التدريب على المناظرة في العلم ومنهج رائع في شحذ الاذهان وتنمية الملكات ، وعلى كل حال هما كانا كسفرسى رهان حتى إن أبا حنيفة قال يوماً : (أصحابنا هؤلاء ستة وثلاثون رجلاً ، منهم ثمانية وعشرون يصلحون للقضاء ، ومنهم ستة يصلحون للفتوى ، ومنهم اثنان يصلحان يؤدبان القضية وأصحاب الفتوى ، وأشار إلى أبي يوسف وزفر) كما أخرجه الخطيب في تاريخه بسنده ، وهذا شهادة من الامام الاعظم في حقهما أنهما بلغا أعلى درجات الاجتهاد عندما نطق بهذا الحكم ، وساق أيضاً بطريق اسماعيل بن حماد : (كان أصحاب أبي حنيفة عشرة : أبو يوسف ، وزفر ، وأسد بن عمرو البجلي ، وعافية الأودي ، وداود الطائي ، والقاسم بن معن المسعودي ، وعلى بن مسهر ، ويحيى بن زكريا ابن أبي زائدة ، وحبان ومندل ابنا علي العنزي . ولم يكن فيهم مثل أبي يوسف وزفر) وهؤلاء العشرة هم أكابر أصحاب أبي حنيفة الذين دونوا الفقه معه كما

سبق في رواية الصيمري عن الطحاوي .
 وفي طبقات علي القاري : قال شداد بن حكيم سألت أسد بن عمرو : أبو يوسف
 أفقه أم زفر؟ فقال زفر اورع . قلت : عن الفقه سألتك فقال : يا شداد بالورع
 يرتفع الرجل . ومثله في مناقب الكردري ، وهذان الامامان العظيمان اللذان
 هما كفري رهان عند اهل النقد يقول عنهما الصيمري ما رواه عن عبد
 الله بن محمد عن ابي بكر الدامغانى عن الطحاوي عن ابن ابي عمران عن وليد بن
 حماد ابن اخي الحسن بن زياد قلت لعلي الحسن بن زياد : رأيت زفر وأبا
 يوسف عند أبي حنيفة فكيف رأيتهما قال : رأيتهما كهصفورين انقض عليهما
 البازي اه . وحكى علي القاري عن أبي مطيع : زفر حجة الله على الناس فيما
 بينهم يعملون بقوله وأما ابو يوسف فقد غرته الدنيا بعض الغرور ، ومثله
 في مناقب الكردري ، هكذا يكون كلام الناس فيمن ولي الاحكام ، مع
 انه لا تصلح أحوال الناس الا بقضاة عدول ، فمن تولى القضاء وعدل فهو
 القائم بأشق الامرين فيستحق الاجلال ولقد صدق ابن الوردي حيث قال :
 ان كل الناس أعداء لمن ولي الاحكام هذا ان عدل
 ولذا طال لسان بعض الناس في أبي يوسف مع ما شهر عنه من العدل
 في الاحكام .

وقد حكى جماعة عن محمد بن عبد الله الانصارى انه قال : أكره زفر على ان
 يلى القضاء فأبى وهدم منزله واختفى مدة ثم خرج واصلح منزله ثم هدم ثانيا
 واختفى كذلك حتى أعفى عن تولى القضاء رحمه الله .

بعض شيوخ زفر والآخذين عنه

تفقه زفر على الامام الأعظم أبي حنيفة وجالسه أكثر من عشرين سنة ،
 وفي المناقب الكردرية (٢ - ١٠٤) عن زفر (جالست أبا حنيفة أكثر من
 عشرين سنة فلم أر أحداً أنصح وأشفق للناس منه وأنه كان يبذل نفسه لله تعالى

أما عامة النهار فإنه كان مشغولا بالمسائل وحلها وتعليمها وما يعرض عليه من
التوازل وجوابها فإذا قام من المجلس عاد مريضا أو شيع جنازة أو واسى فقيرا
أو واصل أخا أو سعى في حاجة ، فإذا كان الليل خلت التلاوة والعبادة والصلاة فكان
هذا سبيله حتى توفي) فنعم الشيخ ذلك الشيخ ونعم التليذ ذلك التليذ . ومع تفقه
زفر عليه أكثر رواية الحديث عنه أيضا . وقد ذكر أبو سعد السمعاني في
الأنساب عند ذكر الجصيني أحمد بن بكر بن سيف : (ثقة يروى عن أبي وهب
محمد بن مزاحم المروزي عن زفر عن أبي حنيفة كتاب (الآثار) وروى عن
غيره فأكثر اه) . وذكر الحاكم في (١٦٤) من كتابه (معرفة علوم الحديث)
« ان زفر نسختين في الحديث . احدهما رواية أبي وهب والأخرى رواية شداد
ابن حكيم » . ومرويات زفر في الحديث بأسانيد مسرودة في كثير من الكتب
كتاريخي اصبهان لأبي الشيخ وأبي نعيم وتاريخ الخطيب وغيرها .
ومن شيوخ زفر في الحديث سليمان بن مهران الأعمش ، ويحيى بن سعيد
الانصاري ، ومحمد بن اسحاق صاحب المغازي ، ويحيى بن عبد الله التيمي ،
واسماعيل بن أبي خالد ، وإيوب السخيتاني ، وزكريا بن أبي زائدة ، وسعيد بن
أبي عروبة ، وغيرهم من شيوخ الحديث في الامصار . وفي سرد اسمائهم طول .
ومن اخذ عن زفر عبد الله بن المبارك ، وشقيق بن ابراهيم ، ومحمد بن الحسن ،
ووكيع بن الجراح ، وسفيان بن عيينة ، وأبو علي عبيد الله بن عبد المجيد
البصري - من اصحاب البقي الذين انتقلوا إليه . ومحمد بن عبد الله الانصاري القاضي -
من ولد انس بن مالك ، وهلال بن يحيى المعروف بهلال الرأي ، والحكم بن
أيوب ، وشداد بن حكيم ، والنعمان بن عبد السلام ، ومالك بن فديك ، وأبو
عاصم النبيل الضحاك بن مخلد ، والحسن بن زياد اللؤلؤي ، وأبو وهب محمد بن
مزاحم المروزي ، وأبو نعيم الفضل بن دكين ، وبشر بن القاسم ، وسعيد بن
أوس ، وأبراهيم بن سليمان ، وحسان بن ابراهيم ، ومسلم بن ابراهيم ،
وإبراهيم بن الوليد ، والحسن بن الوليد ، ومحمد بن اعين ، وعبد الله بن أبي رزمة ،

ومحمد بن وهب ، وعمر بن الزجاج ، وعبد الله بن داود الخريبي ، وخالد بن الحارث الحافظ ، وعبد الواحد بن زياد وغيرهم من حملة العلم في الامصار .
 وروى الطحاوي والدولابي : ان ابا عاصم النبيل كان يختلف الى زفر ، وكان ثمة رجل آخر يسكنى ابا عاصم رث الهيمية يختلف الى زفر ايضا . فجاء ابو عاصم الضحاك بن مخلد يستأذن على زفر ، فخرجت جارية لزفر ، فقالت : من هذا ؟ فقال انا ابو عاصم . فدخلت الى مولاهما فقالت : ابو عاصم بالباب . فقال ايها هو ؟ فقالت النبيل منهما ، فأذنت لي فدخلت . فقال لي زفر يا ابا عاصم قد لقبتك الجارية بلقب لا اراه يفارقك ابدا . لقبك بالنبيل . فزمني هذا اللقب . وقال ابن ابي العوام : حدثني محمد بن احمد بن الاشعث قال سمعت يزيد بن سنان يقول سمعت ابا عاصم يقول مثله سواء ا ه .

وفي المناقب الكردية عن ابن المبارك انه سمع زفر يقول : (نحن لا نأخذ بالرأى ما دام اثر ، فاذا جاء الاثر تركنا الرأى اه) وعن والديحي بن اكثم (رأيت وكيعا يختلف الى زفر بالغدوات والى ابي يوسف بالعشيات ثم ترك ابا يوسف ثم جعل كل اختلافه اليه لانه كان افرغ . وكان يقول : الحمد لله الذي جعلك خلفا لنا عن الامام ولكن لا يذهب عن حسرة الامام) وعن الفضل ابن دكين : (لما مات الامام لزمتم زفر لانه كان أفتقه اصحابه واورعهم) وعن الحسين بن الوليد (انه كان اصلب اصحاب ابي حنيفة وادقهم نظرا) .

نماذج من اقوال زفر واجوبته في المسائل

روى ابن ابي العوام عن الطحاوي عن محمد بن الحسن بن مرداس عن ابي بكر العطار عن ابي عاصم النبيل قال قال زفر بن الهذيل : (من قعد قبل وقته ذل) يعني من جعل لنفسه مجلسا خاصا لنشر العلم قبل أن يتكامل في العلم فضحته شواهد الامتحان وتكشف جهله بأخطائه في أجوبة المسائل ، وكمن ناشى . يعتربه الفرور فيظن بنفسه الاستغناء عن أستاذة فيستقل بمجلس في العلم قبل أوانه ،

ثم يعود الى رشده فيرجع الى ملازمة شيخه.

وبه الى ابن مرداس عن زيد بن أخزم عن أبي عاصم عن زفر في رجل باع من رجل جارية بألف درهم على أن ينقده الثمن فيما بينه وبين ثلاثة أيام وإلا فلا بيع بينهما قال : البيع فاسد . وروى ابن أبي العوام عن الطحاوي عن أبي العباس الايلي عن زيد بن أخزم عن عبد الله بن داود : سألت زفر ابن الهذيل عن قرص الخبز فقال لي : لا يجوز الا وزنا . وروى ابن أبي العوام عن محمد بن عبد الله بن سعيد البصري عن اسحاق بن ابراهيم الشهيد عن يحيى بن يمان عن سفیان عن زفر عن قيس بن حبر قال : مثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية كمثل مؤمن آل فرعون . وروى ابن أبي العوام عن الطحاوي عن ابراهيم بن مرزوق عن محمد بن عبد الله الانصاري عن الاشعث الخمراني عن عبد الواحد بن صبرة قال كنت عند القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعندهما اياس بن معاوية فسألها رجل عن رجل قال لامرأته (أنت طالق إن) . فلم يدريا ما يجيبان به فقالا أفته يا أبا وائلة ، فقال اياس : هذا رجل أراد أن يطلق امرأته فلم يفعل . قال الانصاري : فذكرت ذلك لزفر ابن الهذيل فقال : أخطأ اياس هذا رجل طلق وأراد أن يستثنى فلم يفعل . وروى ابن أبي العوام عن ابي بكر محمد بن هارون بن حسان البرقي عن بكر بن القاسم عن يحيى بن المغيرة القرشي عن سعيد بن أوس . قال : سمعت زفر يقول في رجل أسقط سجدة من ركعة فاستوى قائما قبل أن يفتح فاتحة الكتاب : انه يخر ساجدا ثم يعود الى استئناف عمله . وروى ابن أبي العوام عن الطحاوي عن بكار بن قتيبة عن هلال بن يحيى قال سألت ابا يوسف عن رجل له مائتا درهم حال عليها حولان قال في الحول الأول خمسة دراهم ولا شيء عليه في الحول الثاني فقلت له فان زفر يقول : ان عليه عشرة دراهم . فما حججتك عليه ؟ قال : ما حججت على رجل يزعم في مائتي درهم أربعائة درهم . قال بكار : تكرر الأحوال عليها .

وقال أبو نعيم الاصبهاني في تاريخ اصبهان في ترجمة زفر : رجع عن الرأي
 وأقبل على العبادة اه . لكن هذا وهم منه لأن الذي ترك الرأي وأقبل
 على العبادة هو صديقه داود الطائي كما سبق وأما زفر نفسه فمن جمع بين الفقه
 والعبادة ، والرأي المستمد من الكتاب والسنة ليس بشيء يرجع عنه وإنما
 الذي يستحق الهجر هو الرأي المستند الى الهوى دون الكتاب والسنة وأصحابنا
 براء من ذلك . وزفر عاش فقيها يستعمل الرأي واليقظة في الفهم ومات فقيها
 ذا بصارة في الرأي والفقه ولم يكن يرى أن الرأي والفهم في دليل الحكم مما
 يتاب منه .

ومن الدليل على ذلك ما حدثه ابن ابى العوام عن الطحاوي عن ابن
 ابى عمران عن ابى نعيم الفضل بن دكين : دخلت على زفر وقد احتضر وهو
 يقول : في حال لها مهر وفي حال لها ثلث مهر . أهكذا يكون من رجع
 عن الرأي ! رضى الله عنه .

وساق احمد بن محمد بن سعيد التميمي عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول - كما
 رأيت بخط الحافظ البرزالي : (جاء رجل الى ابى حنيفة ، فقال : انى شربت البارحة
 نبيذا ولا ادري طلقت امرأتى ام لا ؟ قال : المرأة امرأتك حتى تستيقن انك قد
 طلقتها . ثم جاء إلى سفیان الثوري فقال : يا أبا عبد الله انى شربت البارحة نبيذا
 ولا ادري طلقت امرأتى أم لا ؟ . قال : اذهب فراجعها فان كانت قد طلقها
 لم تضرك المراجعة شيئا . ثم أتى شريك بن عبد الله فقال يا أبا عبد الله انى شربت
 البارحة نبيذا ولا ادري طلقت امرأتى أم لا ؟ قال : اذهب فطلقها ثم راجعها
 ثم أتى زفر بن الهذيل فقال يا أبا الهذيل انى شربت البارحة نبيذا ولا ادري
 أطلقت امرأتى أم لا ؟ قال : هل سألت غيرى قال نعم أبو حنيفة ، قال فما قال لك ؟
 قال المرأة امرأتك حتى تستيقن انك قد طلقها . قال الصواب ما قال فهل سألت
 غيره ؟ قال : سفیان الثوري . فما قال لك ؟ قال اذهب فراجعها فان كانت قد

طلقتها فقد راجعتها وان لم تكن طلقها لم تضرک المراجعة شيئا . قال : ما أحسن هذا . قال فهل سألت غيره ؟ قال : شريك بن عبد الله قال : فما قال لك ؟ قال : اذهب فطلقها ثم راجعها . قال : فضحك زفر ثم قال : أضرب لك مثلا : رجل مر بثعب يسيل ماء فأصاب ثوبه . قال ابو حنيفة : ثوبك طاهر وصلاتك تامة حتى تستيقن أمر الماء . وقال لك سفيان : اغسله فان يك نجسا فقد طهر وان يك نظيفا زاده نظافة ، وقال لك شريك : اذهب قبل عليه ثم اغسله اه وتلك نماذج من آرائه وأجوبته .

منع زفر العامة من الخوض في مضايق المباحث الكلامية

أبنا ابن أبي العوام عن الدولابي عن محمد بن شجاع عن الحسن بن زياد سمعت زفر بن الهذيل وسأله رجل فقال له : القرآن كلام الله . فقال له الرجل مخلوق هو ؟ فقال له زفر : (لو شغلك فكر في مسألة أنا فيها أرجو أن ينفعني الله بعلمها لشغلك ذلك عن ذلك الذي فكرت فيه ، والذي فكرت فيه بلا شك يضرک ، سلم الله عز وجل ما رضى به منك ولا تكلف نفسك مالا تكلف) .
وبه عن الحسن بن زياد وقد قال له رجل من أهل بغداد أكان زفر قياسا فقال له الحسن : وما قولك قياسا ؟ هذا كلام الجمل ، كإن عالما . فقال الرجل : أكان زفر نظر في الكلام ؟ فقال سبحانه الله ما أسخفك ! تقول لأصحابنا أنهم نظروا في الكلام ، وهم بيوت العلم والفقہ ، إنما يقال نظر في الكلام فيمن لا عقل له ، وهؤلاء كانوا أعلم بحدود الله عز وجل وبالله من أن يتكلموا في الكلام الذي تعنى وما كان يهمهم غير الفقه (١) والافتداء بمن تقدمهم اه .
(١) والفقہ : معرفة النفس ما لها وما عليها فيشمل باطلافه العمل والعقيدة والخلق عند أبي حنيفة بل كان يسمى ما يتعلق بشمحيص العقيدة الصحيحة الفقه الاكبر وكان الذي ياباه أصحابه هو الخوض في مشارات الشبه في الاعتقاد عند العامة بدون حجة قائمة من الكتاب والسنة والنظر العقلي الصحيح . (ز)

ومعنى ذلك زجر العامة عما لا قبل لهم به من دقائق علم الكلام خوفا عليهم
من الزلل والافهو من أئمة علم أصول الدين جادل الناس في مسائله فجدد لهم ،
ويشهد لذلك ما ذكره جمال الدين ابو يعلى أحمد بن مسعود الاصبهاني باسناده
عن خالد بن زيد العمرى أنه قال : (كان أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وزفر
وحماد بن ابى حنيفة قوما قد خصموا بالكلام الناس ، وهم أئمة العلم) كما ذكره
صاحب الفتاوى البرازية في المنافع (١ - ٣٨) .

نشر زفر لمذهب أبى حنيفة فى البصرة

روى ابن ابى العوام عن الطحاوى عن أبى خازم القاضى سمعت احمد بن
عبدة يقول قدم يوسف بن خالد السمى البصرة من عند ابى حنيفة ، فكان
يأتى عثمان البتى وهو رئيسها وفقهها فيجاذب اصحابه المسائل ؛ ويذكر لهم
خلاف ابى حنيفة اياهم فيضربونه ويسبون ابا حنيفة فلم يزالوا كذلك حتى
قدم زفر بن الهذيل البصرة فكان أعلم بالسياسة منه فكان يأتى حلقة البتى
فيسمع مسائلهم فاذا وقف على الأصل الذى بنوا عليه تتبع فروعهم التى
فرعوا على ذلك الأصل ، فاذا وقف على تركهم الأصل طالب البتى حتى يلزمه
قوله ويبين له خروجه عن أصله فيعود أصحابه شهودا عليه بذلك ، فاذا وقف
اصحاب البتى على ذلك واستحسنوا ما كان منه قال لهم : ففى هذا الباب احسن
من هذا الأصل ويذكره لهم ويقدم الحجة عليهم فيه ويأتيهم بالدلائل عليه ويطالب
البتى بالرجوع اليه ويشهد اصحابه عليه بذلك ثم قال لهم : هذا قول أبى حنيفة .
فما مضت الأيام حتى تحولت الحلقة الى زفر وبقي البتى وحده اه — هذا فى رحلة
زفر الى البصرة فى حياة امام اهل البصرة عثمان بن مسلم البتى رضى الله عنه .
واما رحلته الى البصرة بعد وفاة البتى وابى حنيفة واستقراره فيها ففى انبأ
العيمرى عن ابى الحسن العباس بن احمد بن الفضل الهاشمى عن احمد بن محمد

المسكى عن علي بن محمد النخعي عن أبي خازم القاضي عن بكر (العمى) عن
 هلال بن يحيى قال : رحل يوسف بن خالد السمطي من البصرة إلى الكوفة فتفقه
 عند أبي حنيفة فلما أراد الخروج إلى البصرة قال له أبو حنيفة : إذا حضرت
 إلى البصرة فانك تجيء إلى قوم قد تقدمت لهم الرياسة فلا تعجل بالعودة عند
 اسطوانة واتخاذ حلقة ثم تقول قال أبو حنيفة وقال أبو حنيفة فانك إذا فعلت
 ذلك لم تلبث حتى تقام . قال : فخرج يوسف فأعجبته نفسه وجلس عند اسطوانة
 وقال : قال أبو حنيفة . قال فأقاموه من المسجد فلم يذكر أحد أباه حنيفة حتى قدم
 زفر البصرة فجعل يجلس عند الشيوخ الذين تقدمت لهم الرياسة فيحتج لأقوالهم بما
 ليس عندهم فيعجبون من ذلك ثم يقول ها هنا قول آخر أحسن من هذا فيذكره
 ويحتج له ولا يعلم أنه قول أبي حنيفة فإذا حسن في قلوبهم قال : أنه قول أبي
 حنيفة فيقولون هو قول حسن لا نبالي بمن قال به فلم يزل بهم حتى ردهم إلى قول
 أبي حنيفة رضي الله عنه اه .

سوء السياسة من العالم يحرمه نشر العلم واستفادة المجتمع منه ولو أخذ يوسف
 السمطي بوصايا أبي حنيفة في معاشرته الناس وسياستهم لما أودى ولا طعن في
 دينه ولا رمى ببدع فظيعة ليس هذا موضع شرحها (١) . ووصية أبي حنيفة ليوسف
 السمطي مدونة في كتب المناقب وقد قام بتحقيقها الأستاذ الفيور المفضل
 الشيخ إبراهيم المختار الزيلعي الجبوتي حفظه الله وهي مطبوعة في مطبعة السيد
 مصطفى الباسي الحلبي ، وهي من عيون الوصايا ؛ تعلم القائم بالارشاد بين الناس
 طارق معاشرتهم وسياستهم لينجح في ارشادهم وتعليمهم ، وقد روى الصيمري

(١) اصعبها ما عند ابن أبي حاتم لكن ليس عليها مسحة الثبوت ، ومثله
 اني ينكر القيامة والميزان ١٩ راجع تهذيب التهذيب ، وكان في حد ذاته عالما جليلا
 وكفى دليلا على جلالة قدره اخذ الامام الشافعي عنه رغم نقولات المتقولين
 فيه ، واخرج له ابن ماجه وله احاديث كثيرة مخرجة في تاريخ اصهبان لأبي
 نعيم وغيره (ز) .

عن عبد الله بن محمد الأسدي عن أبي بكر الدامغاني عن الطحاوي عن ابن
أبي ثور عن سليمان بن عمران عن أسد : قدم زفر البصرة فدخل مسجدها
فانفضت إليه حلق اصحاب التابعين .

زفر في طبقة المجتهد المطلق في التحقيق

وان حافظ على اتسابه الى ابي حنيفة

بعد ان علم ان زفر مع ابي يوسف كفسري رهان في الاجتهاد لا يبقى وجه
للاتفاقيات الى قول من ظن أن زفر في عداد المجتهدين في المذهب كما اوضحنا ذلك
في غير موضع . وانما وقع في ذلك الظن من رأى كثرة تنويه زفر بأقوال الامام
الاعظم مع ان ذلك التنويه والموافقة لآرائه انما كان بمعرفة دليل الحكم كما
عرف هو لا تقليدا له .

قال ابن ابي العوام حدثني محمد بن احمد بن حماد سمعت محمد بن شجاع
سمعت ابا عاصم الضحاك بن مخلد يقول سمعت زفر يقول : ما خالفت ابا
حنيفة في قول الا وقد كان ابو حنيفة يقول به . وحدث ابن ابي العوام ايضا
عن الطحاوي عن ابن ابي عمران سمعت سوار بن عبد الله العنبري القاضي
- يعني الحفيد - يقول سمعت ابا عاصم يقول قال زفر بن الهذيل :
كل اقوال هذه قد قالها ابو حنيفة قبلي ثم وقف منها على اشياء لم اقف انا عليها
فخالفتها لما وقف عليه منها وثبت انا عليها . قال احمد بن ابي عمران فأنكرت
ذلك ، فأتيت محمد بن شجاع فحدثته بذلك فقال لي : مسكانك ثم دخل منزله
وخرج وفي يده كتاب فقرأ على منه هذه الحكاية عن ابي عاصم كما سمعتها من
سوار العنبري اه . وفي الكردرية ان يحيى بن اكثم روى عن والده انه سمع
زفر يقول (لم اجترى ان اخالاب الامام بعد وفاته لاني اذا خالفته في حياته
وابرزت الدليل واتي به ألزمني بالحق الظاهر من ساعته وردني الى قوله فأما
بعد وفاته فكيف اخالفته ؟ وربما لو كان حيا وحاج لردني الى قوله) . وهذا

ليس بتقليد له بل سكوت عما لا يعلم دليله واطمئنان الى الدليل وفهم صحيح
 للدليل فيما يعلم وهو الاجتهاد بعينه ، وأبو حنيفة هو الذي كان ينهى أصحابه
 عن التقليد ويأمرهم بإبداء ما عندهم من الحجج فيناقشهم فيها حتى يستقر الحق
 في نصابه ، وكان لأصحابه مقام عظيم في سرد الدلائل وتحقيق المسائل بل
 كان أبو حنيفة يقول لا يحل لأحد أن يفتي بقولي ما لم يعلم من اين قلته ، ومع
 ذلك كله كان زفر مغالقات في الأصول والفروع مدونة في كتب القوم فلا
 يكون تأدب زفر تجاه استاذه ومحافظته على الانتساب اليه وعرفانه بجمله عليه
 بما ينزل مقامه في الاجتهاد المطلق على حدة ذهنه في قياس المسائل وقوة ضبطه
 للدلائل وإتقانه للحديث كما اقر بذلك امثال ابن حبان ، وورعه البالغ معروف
 عند اجمع رضى الله عنه وعن اساتذته واصحابه اجمعين .

ولزفر نحو سبع عشرة مسألة يفتي بها في المذهب عند نقاد المذهب الف فيها
 السيد احمد الحموي شارح الأشباه والنظائر رسالة سماها (عقود الدرر فيما يفتي
 به في المذهب من اقوال زفر) وشرحها الشيخ عبد الغنى النابلسي ، ومحصها ابن
 عابدين ، وانفرادات زفر في المسائل مدونة في منظومة النسفي في الخلاف
 وشرحها بيسط . وقد اشار أبو زيد الدبوسي في تأسيس النظر في فصل خاص الى
 مغالقات زفر في الأصول والفروع كما اشير إلى آرائه الخاصة في الأصول في كتب
 الأصول المبسوطة كشامل الانتقاني وبحر الزركشمي وشرح اصول البزدوي
 خاصة ، فان كان شأن المجتهد المطلق الانفراد بمسائل في الأصول والفروع
 فما هو زفر له انفرادات في الناحيتين على ان الموافقة لامام في الرأي في بعض
 مسائل الأصول او الفروع عن علم بأدلتها لا تخل بالاجتهاد المطلق اصلا كما
 اوضحت ذلك في كثير من المواضع والله سبحانه اعلم .

كلام أهل النقد في زفر

قال الذهبي في الميزان : أحد الفقهاء والزهاد صدوق وثقه غير واحد وابن معين وقال ابن سعد : لم يكن في الحديث بشيء اه . لعله يريد قلة حديثه لأنه يقال : فلان لم يكن في الحديث بشيء ، بمعنى أنه قليل الحديث - يعني في نظر القائل - كما في الرفع والتكميل لعبد الحى اللكنوى ، وهذا ربما يسلم بالنظر الى علم ابن سعد فقط ، وإلا فزفر على علو منزلته في الاجتهاد حافظ معروف بالاتقان عند ابن حبان وغيره .

وقال ابن حجر في اللسان : قال ابن أبي حاتم قرىء على عباس الدورى وأنا أسمع سمعت أبا نعيم الفضل بن دكين وذكر عنده زفر فقال : كان ثقة مأمونا . قال العباس وسمعت يحيى - وهو ابن معين - يقول هو ثقة مأمون . وذكره ابن حبان في الثقات وقال : كان متقنا حافظا لم يسلك مسلك صاحبه وكان أقيس أصحاب أبي حنيفة وأكثرهم رجوعا الى الحق توفى بالبصرة في ولاية أبي جعفر وقد وقع لنا حديثه بعلو في حديث ابن أبي الهيثم اه . ثم لخص ابن حجر كلام العقيلي وقال : قال أبو موسى محمد بن المثنى ما سمعت عبد الرحمن بن مهدي يحدث عن زفر شيئا قط ، وقال أيضا حدثنا معاذ بن معاذ قال : كنت عند سوار (١) القاضي بجاه الغلام فقال : زفر بالبواب فقال : زفر الراى لا تأذن له ، فانه مبتدع . فقيل له ابن عمك قدم من سفر ولم تأتاه ومشى اليك فلو اذنت له ، فأذن له فما كلفه كلمة حتى خرج .

وقال بشر بن السرى : ترحمت يوما على زفر وانا مع سفيان الثورى فأعرض

(١) استمر سوار على قضاء البصرة من سنة ١٣٨ هـ إلى وفاته في ذى القعدة

سنة ١٥٦ هـ كما ذكره ابن حبان ثم خلفه ابنه عبد الله في قضاء البصرة فلا يتصور

تولى زفر قضاء البصرة لاني حياة ابي حنيفة ولا بعد وفاته (ز) .

بوجهه عنى اه . ثم ذكر ابن حجر عن أبي الفتح الأزدي : زفر غير مرضى المذهب
والرأى اه . وذكر عن ابن عدى أنه قال الحارث بن مالك إن أول من قدم بالبصرة
برأى أبي حنيفة زفر ، وسوار بن عبد الله على القضاء فاستأذن عليه فحجبه وسعى في
إليه فقلت : أصلحك الله إن زفر رجل من أهل العلم ومن العشيرة قال : أما من
العشيرة فنعم . وأما من أهل العلم فلا ؛ فانه أتانا ببدعة : برأى أبي حنيفة .
فقلت : انه يجب أن يتزين بمجالسة القاضي . قال فائذن له على ان لا يتكلم
معنا في العلم اه .

فاذا تهرب سوار على ضيق دائرة روايته من كلام زفر معه في العلم لا يتعجب ؛
لأن مثل الحجاج بن ارطاة القاضي المودود في الحفاظ على سعة دائرة روايته كان
يحجب زفر عنه تهربا من كلامه معه في العلم وأما عدراى أبي حنيفة بدعة فما يرد عمل
فقهاء الأمة من الصحابة والتابعين كما تجد مصداق ذلك في « الفقيه والمتفقه » للخطيب
البغدادي و « جامع بيان العلم وفضله » لابن عبد البر ، ومن انكر الفهم في
الكتاب والسنة ، ورد النظر الى النظر فهو المبتدع ، كما ذكرنا ذلك فيما علقناه
على « النبذ » لابن حزم .

واما حال سوار القاضي هذا - وهو الجدل الحفيد - فلم يخرج عنه احد من
اصحاب الأصول الستة على تقدم زمنه ، وفيه يقول شعبة : ماتعنى في طلب العلم
وقد ساد (١) ، وقال الثوري : ليس بشيء . وذكره العقيلي في الضعفاء ، وقال
ابن سعد : قليل الحديث . وقال الذهبي : روى القليل عن بكر المزني والحسن اه
وسلطان مثله يكون بقوة الحكم لا بقوة العلم ، وقد روى عنه انه لما قيل له :
لو نظرت في شيء من كلام أبي حنيفة وقضاياه . قال : كيف انظر في كلام رجل
لم يؤت الرفق في دينه ؟ . فمن يكون زهده في الحديث كما سبق يكون زهده في الفقه
ورأى أبي حنيفة واصحابه كما ترى ، على ان زفر حيث حول وجوه المتفقهين

(١) وقد ورد : تعلموا قبل ان تسودوا . (ز) .

بالبصرة الى فقه ابي حنيفة كان رؤوس اهل البصرة من طوائف الفقه . لا يغتفرون ذلك لزفر ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . ومثل سوار في ضيق دائرة علمه وكلام اهل النقد فيه لا يتحاكم اليه في مثل زفر بعد ان تواطأت القلوب مع الألسن عند جمهرة النقاد على الثناء عليه خيراً والشهادة له بالحفظ والانتقام ودقة الفهم وشدة الورع .

واما ابو الفتح الأزدي فلا يكون مرضى المذهب والرأى عنده إلا من كان رافضياً مثله في الرأى والمذهب ، والحاصل ان الجرح غير المفسر لا يلتفت اليه إزاء صرائح التوثيق من اهل الشأن ، واما حكاية عدم رواية ابن مهدي عن زفر فشهادة على النفي وعلى فرض ثبوتها لا يخلو ابن مهدي من تأثير الثوري عليه وهو ضيفه النازل عنده المختفى لديه سنين ، كما ذكرت في لفت اللحظ ، حيث كان عنده بعض انحراف عن ابي حنيفة واصحابه في بعض الروايات كما هو شأن التنافس بين الأقران على ان رسته عبد الرحمن بن عمر ظنين في ابن مهدي ، كما ترى ذلك في الميزان وغيره ، وبشر بن السري ممن اطلوا الكلام فيه ، ولا مانع من ان يستاء الثوري من زفر ، وقد بلغه ماقاله في جامع سفيان الثوري بالبصرة ، وذلك ما حكاه عكرمة بن عمار انه لما قدم زفر بالبصرة ونقل اليه جامع سفيان قال : هذا كلامنا ينسب الى غيرنا اه والكلام بين الأقران بما لا يلتفت اليه كثيراً عند اهل النقد ، راجع ما ذكرناه في الثوري في التأنيب (١١٠) .
واما قول احمد بن المعذل :

(إن كنت كاذبة الذي حدثني) فعليك إثم ابي حنيفة او زفر

المائلين الى القياس تعمداً والراغبين عن التمسك بالخبر

ففتنة مصدور من تضايقه بالبصرة من اصحاب زفر القائمين بنشر فقه ابي حنيفة هناك نشرًا مكنتسحاً لآراء سائر الطوائف ، لكن الواجب على الهاجى ان يعلم ان الهجو إنما يكب الهاجى في النار ، من غير ان يضر الأبرياء الأبرار

في شيء، وأن التحاكم في المسائل الخلافية إلى الحجج الناهضة لا إلى الشغب الفارغ، والإفداع المزرى، فما ذنب زفر؟ حتى يستحل الولوغ في دمه ودم استناذه بهذه الصورة البشعة، ولم يريا الإنفار، ولا قدما القياس على صحاح الآثار، ولا فتحا باب الاسترسال في نقض الشرع باسم المصلحة، ولا كانا يستصحبان من يغني لهما في مجالس العلم، وانت تعلم تفقه ابن المعذل على شيخه القادم إلى البصرة ومعه من يغنيه فزهد فيه أهل العلم بالعراق، وهو خلفه هناك في فقهه فثله لو سكت لكان أستر له ولطائفته. والمصراع الأول مضمن من شعر لحسان رضي الله عنه، واخوه عبد الصمد (١) إذا تحاكنا إليه في أخيه نراه يقول فيه:

اضاع الفريضة والسنة ففناه على الانس والجنه
 كأن لنا النار من دونه وافرده الله بالجنه
 وينظر نحوى اذا زرته بعين حماة الى كنهه
 وهذا هو قول أخيه فيه .

وقد ذكر ابن عبد البر في «الافتاء» ان ابا جعفر الطحاوى لما سمع البيتين (لاحمد بن المعذل قال) : وددت ان لى حسناتهما واجورهما وعلى إثمهما اه . ومن الناس من لم يكتف بذلك التهجيم في البيتين حتى غير المصراع الثالث وقال: (الواثبين على القياس تمرداً) .

وقد عارض كثير من اصحابنا البيتين ، واقرب ما قيل في المعارضة الى الأدب قول الحافظ القاسم بن قطلوبغا :

كذب الذى نسب المآثم للذى قاس المسائل بالكتاب وبالآثر
 إن الكتاب وسنة المختار قد دلا عليه فزع مقالة من فشر

وادلة القياس من الكتاب والسنة مبسوطه في كتب الأصول المبسوطه وفي كثير من سائر الكتب كما سبق ، سماهم الله ولما بنا بمنه وكرمه ووقانا شر

(١) يقول الذهبي في المشتبه : احمد بن المعذل - بفتح الذال المشددة - من أئمة المالكية تفقه عليه اسماعيل القاضي . واخوه عبد الصمد بن المعذل شاعر بديع القول اه (ز) .

التعصب والتحزب ووقفنا لانزال الناس منازلهم باعدل الموازين . وتغاير
 العلماء وتحاسدهم مما أدى الى رد اقوال بعضهم في بعض عند اهل النقد ولا سيما
 عند اختلاف المذاهب كما هو معروف . فنسأل الله الصون من متابعة الهوى .
 وذكر العقيلي عن عبد الرحمن بن محمد عن رسته عن ابن مهدي عن عبد
 الواحد بن زياد قال : قلت لزفر بن الهذيل (عطلتم حدود الله كلها فقلنا ما حجتكم؟
 فقلتم : اندرؤوا الحدود بالشبهات حتى اذا صرتم الى أعظم الحدود وقول النبي
 صلى الله عليه وسلم : لا يقتل مؤمن بكافر . فعلتم ما نهيتم وتركتم ما أمرتم به .
 هذا او نحوه من الكلام) ولفظ عبد الواحد في رواية الطحاري عن ابن ابي عمير ان
 عن ابي عبيد عن ابن مهدي (قلت لزفر يقولون انكم تدرؤون الحدود بالشبهات
 وقد جئتم الى أعظم الشبهات فأقدمتم عليه قال : وما هو؟ قلت : المسلم يقتل بالكافر .
 قال فاشهد أنت علي رجوعي عن هذا اه) . على أن هناك اثارا عن عمرو على
 وعمر بن عبد العزيز ومراسيل يؤيد بعضها بعضا ، مع كون المراد بالكافر
 من لا عهد له بدليل ذكر (ولا ذو عهد في عهده) أي بكافر غير معاهد فلا يكون
 دليل المذهب ضعيفا . راجع جواهر الزبيدي (٢ - ١٧٥) وموضع العبرة في عمل
 العقيلي هنا تصرفه في الرواية فقارن بين الروایتين ثم احكم .

هل ولي زفر قضاء البصرة؟

قال الحافظ عبد القادر القرشي : قال ابو عمر كان زفر ذا عقل ودين وفهم وورع وكان ثقة في الحديث اه . وذكر القرشي قبل ذلك عن ابي نعيم : كان زفر ثقة مأمونا ؛ دخل البصرة في ميراث اخيه فتشبت به اهل البصرة فنعموه الخروج منها اه ثم قال : وتولى قضاء البصرة اه وهذا متابعه منه لابن عبد البر حيث قال في الانتقاء :

« كان زفر كبيراً من كبار اصحاب ابي حنيفة وافقهم ، وكان يقال إنه كان احسنهم قياسا ، ولي قضاء البصرة ، فقال له أبو حنيفة : قد علمت ما بيننا وبين اهل البصرة من العداوة والحسد والمنافسة ، وما اظنك تسلم منهم ، فلما قدم البصرة قاضيا اجتمع اليه اهل العلم وجعلوا يناظرونه في الفقه يوما بعد يوم ، فكان إذا رأى منهم قبولا واستحسانا لما يجهل به قال لهم : هذا قول ابي حنيفة فكانوا يقولون : أويحسن ابو حنيفة هذا ؟ فيقول لهم : نعم واكثر من هذا ، فلم يزل بهم إذا رأى منهم قبولا لما يحتاج به عليهم ورضا به وتسليما له قال لهم : هذا قول ابي حنيفة . فيعجبون من ذلك ، فلم تزل حاله معهم على هذا حتى رجع كثير منهم عن بغضه الى محبته ، وإلى القول الحسن فيه بعد ما كانوا عليه من القول السيئ . فيه ، وكان زفر قد خلف ابا حنيفة في حلقته إذ مات ، ثم خلف بعده ابو يوسف ، ثم بعدهما محمد بن الحسن ، ومات زفر سنة ثمان وخمسين ومائة ، وهو ابن ثمان واربعين سنة اه . ويخشد في دعوى توليه قضاء البصرة استمرار قضاء سوار بن عبد الله العنبري بالبصرة من سنة ١٣٨ هـ الى وفاته في ذي القعدة سنة ١٥٦ هـ كما يقول ابن حبان وتولى ابنه عبد الله بن سوار قضاء البصرة بعد وفاة ابيه ، فيكون القرشي

وابن عبد البر واهميين في ذلك ، وكان زفر قرابة بالبصرة فزارهم في عهد عثمان
البتي المتوفى سنة ١٤٣ هـ فجرى بينهما ما سبق ذكره بأسانيد ، ثم رحل الى
البصرة بمناسبة وفاة أخيه بعد وفاة أبي حنيفة فتمسك أهل البصرة به ، فأقام
هناك ينشر العلم الى أن مات بالبصرة وسبق بيان مبلغ ما أودى به بسبب امتناعه
عن قبول القضاء ، رحمه الله وارضاه . ولأبن عبد البر بعض أغلاط في تراجم المشاركة .

وفاة زفر في البصرة وكلام اهل العلم في زهده في الدنيا

سبق بيان سبب اتصال زفر بأبي حنيفة وملازمته لجلسه أكثر من عشرين
سنة وقد روى الصيمري عن عبد الله بن محمد الشاهد عن مكرم عن احمد بن محمد
عن مليح بن وكيع عن أبيه قال : لما مات أبو حنيفة اقبل الناس على زفر فما
كان يأتي ابا يوسف الا نفر يسير ، النفسان والثلاثة . وكان زفر يكنى بأبي خالد
وبأبي الهذيل وكان من اهل اصبهان ومات اخوه فتزوج بعده بامرأة أخيه فلما
احتضر دخل عليه ابو يوسف وغيره فقالوا له ألا توصى يا أبا الهذيل فقال : هذا
المتاع الذي ترونه لهذه المرأة ، وهذه الثلاثة الآلاف الدرهم هي لولد أخي وليس
لأحد على شيء . ولا لي على أحد شيء . وكان زفر شديد العبادة والاجتهاد .

وقال الصيمري اخبرنا عمر بن ابراهيم عن مكرم عن محمد بن احمد بن يعقوب
السدوسي قال حدثنا جدى - وهو يعقوب بن شيبه بن الصلت المالكى - قال : زفر بن
الهذيل عنبري من أنفسهم يكنى أبا الهذيل ، وكان قد سمع الحديث ونظر في
الرأى فغلب عليه ، ونسب اليه ومات بالبصرة ، واوصى الى خالد بن الحارث
(الحافظ) وعبد الواحد بن زياد ، وكان ابوه الهذيل يلى الأعمال ومات وهو
والى اصبهان ، وكان اخوه صباح بن الهذيل على صدقة بنى تميم ، وزفر هو زوج
أخت خالد بن الحارث ومات في اول خلافة المهدي سنة ثمان وخمسين ومائة هـ .
وكلام يعقوب بن شيبه هذا لاغبار عليه إلا ان جعل وفاته في اول خلافة
المهدي فيه وقفة لأنه نص ابن خلصان وغيره على ان وفاته في شعبان من سنة

١٥٨ هـ فتكون وفاته قبل وفاة المنصور بأربعة أشهر وسبق ان نقلنا من ثقات ابن حبان وفاته في ولاية ابي جعفر المنصور ، وقال احمد بن خلف وعبد الباقي ابن قانع في رواية المرزباني عند الصيمري ان زفر مات سنة ١٥٨ هـ وفيها مات المنصور واسرائيل بن يونس . وحكى أبو خازم عن بكر العمى أن زفر توفي سنة ١٥٨ هـ وهو ابن ثمان واربعين سنة كما ذكره ابن أبي العوام .

وعن بشر بن القاسم سمعت زفر يقول : لا أخلف بعد موتي شيئا أخاف عليه الحساب فلما مات قوم ما في بيته فلم يبلغ ثلاثة دراهم ، ولما احتضر قال له أبو يوسف وغيره أوص فقال هذا المتاع لزوجتي وهذه الثلاثة الآلاف الدرهم لولد أخي - وكان تزوج امرأة أخيه بعد وفاته - وأما انافليس لي على أحد شيء ولا لأحد على شيء . كما في مفتاح السعادة والمناقب الكردية ، وعن ابراهيم بن سليمان قال : كنا إذا جالسنا زفر لم نقدر أن نذكر الدنيا بين يديه فاذا ذكرها واحد منا قام من المجلس وتركه وكنا نتحدث فيما بيننا ان الخوف قتله ، كما في الكردية .

وقال النووي في تهذيب الاسماء : كان جامعا بين العلم والعبادة وكان صاحب حديث ثم غلب عليه الرأي قال ابن أبي حاتم : روى عن الحجاج بن أرطاة وروى عنه ابو نعيم (الفضل بن دكين) وحسان بن ابراهيم وأكثم بن محمد (والد يحيى) قال ابو نعيم كان زفر ثقة مأمونا ، دخل البصرة في ميراث أخيه فتشبت به أهل البصرة فمنعوه الخروج منها قال يحيى بن معين : زفر صاحب الرأي ثقة مأمون قال ابن قتيبة : توفي بالبصرة اه .

ومما قيل في مدحه رضي الله عنه :

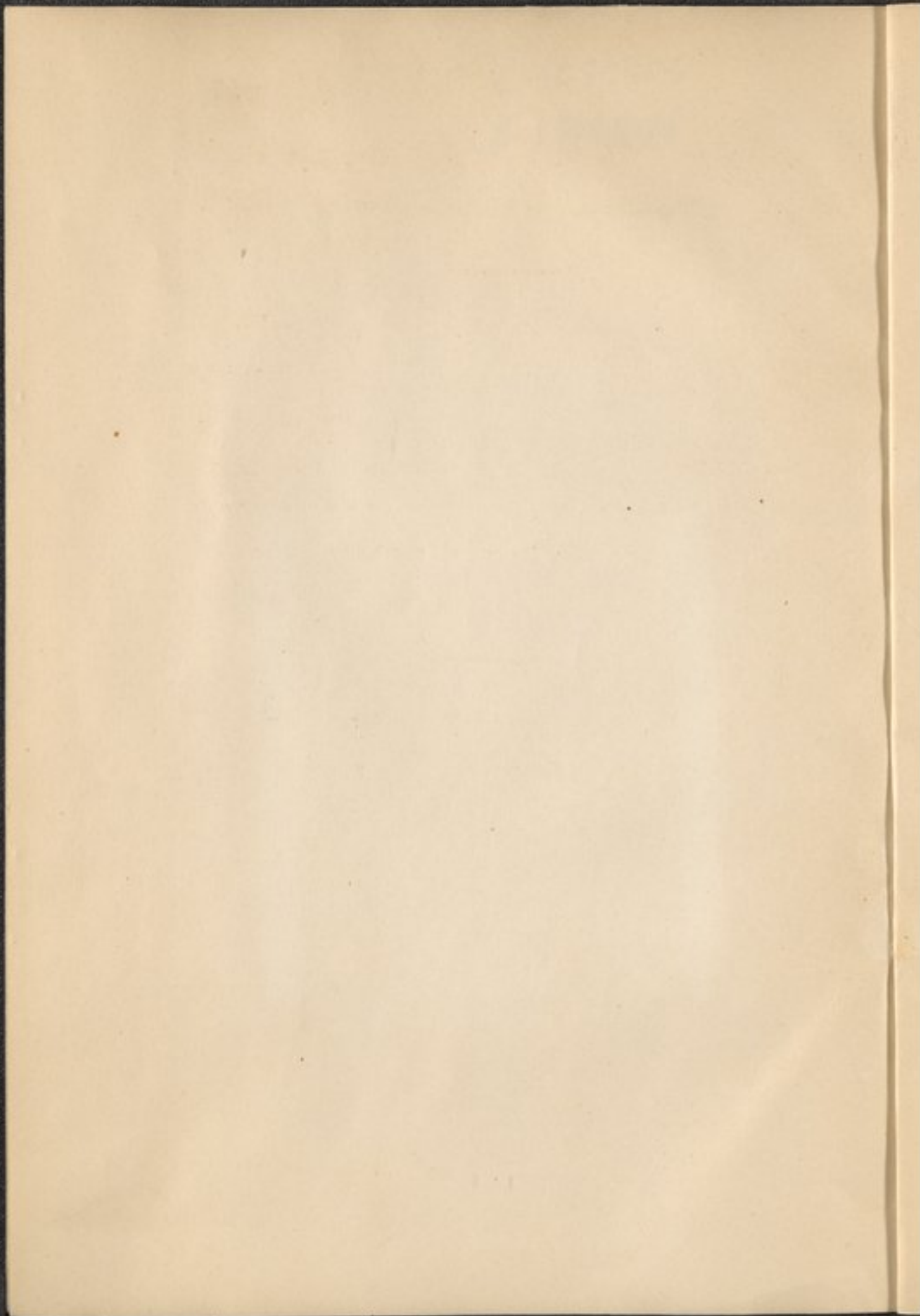
قوس القياس به كانت موترة	ما عاش والآن أضحت مالها وتر
لقد حوى في قياس الفقه مرتبة	علياء قد قصرت من دونها الفكر
قياسه قد صفا في بحر خاطره	وحاسدوه لشوم الخلق قد كدروا
غدا لكسر قياس الناس جابره	وهم لحيدهم حقا قد انكسروا

عيونهم في الليالي بالكرى كحلت وعينه كحلها في ليلته السهر
 أنى يساويه في فقهه له أحد؟ هل يستوى الذهب الابريز والحجر؟!

وبهذا القدر نكتفي في بيان سيرة هذا الامام العظيم رفع الله مقامه في الجنة
 ونفع بعلمه الأمة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وآخر دعوانا
 ان الحمد لله رب العالمين .

قد فرغ الفقير اليه تعالى محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري من
 تحرير هذه الرسالة بتوفيق الله تعالى عصر يوم الأحد السابع عشر من شهر
 رجب الفرد من سنة ١٣٦٨ هـ غفر الله لي ولوالدي ولمشايخي ولسائر المسلمين
 ونفعنا بركات العلماء العاملين .

وكان ختام طبعها بتوفيق الله سبحانه في ٢٧ رجب سنة ١٣٦٨ هـ
 في مطبعة الأنوار ، بنهاية شارع بيرس بالخرزوى بالقاهرة



Faint, illegible text at the top of the page, possibly a header or title.

Second block of faint, illegible text in the upper middle section.

Third block of faint, illegible text in the middle section.

Fourth block of faint, illegible text in the lower middle section.

Fifth block of faint, illegible text in the lower section.

Sixth block of faint, illegible text in the lower section.

Seventh block of faint, illegible text in the lower section.

Eighth block of faint, illegible text in the lower section.

Ninth block of faint, illegible text at the bottom of the page.

I 1480704

B 13064186

BP
80
Z8
K3x
1948

APR
1978



01
80
Z8
K3x
1943